خاتمة

هذا رجل من بقايا السلف الصالح- ولا أزكيه على الله- فقد نذر حياته وجهده وما يملك لله، وخدمة الدعوة والفكر الإسلامي، وعاش زاهدًا في الدنيا وزخرفها، غير طامع في منصب أو جاه أو شهرة. همه الأول إضاءة جوانب الإسلام الرائعة وقيمه الإنسانية العظيمة، والدفاع عن المسلمين ضد المخططات الشيطانية الشريرة، وكشفها بالوثائق؛ لينبّه ويحذر، ويحثّ على الدفاع والمقاومة.

وقد أخذ نفسه بالعمل الجاد والإصرار والمثابرة في تحصيل المعرفة والثقافة، وتقديم ما يصل إليه من خلال الإقناع والدليل والبرهان، فكان عطاؤه الأدبي والفكري غزيرًا وسخيًّا.

ثم إنه كان في كل الأحوال نموذجًا للكاتب المسلم الذي يتحرى في كل كلمة يكتبها أن تكون خالصة لوجه الله ثم خدمة الإسلام والمسلمين، فكان في كتابة القصة والرواية والمقالة والحوار والبحث يعمل لتكون غايته إسلامية غير مفصولة عن المعتقد والإيمان، وجعل قضاياه الأدبية والعامة مرتبطة بسلامة الدين والنفس، فتناول محاولات التزييف والتضليل تحت أقنعة الحرية والتجديد والحداثة والمصطلحات الغائمة والفضفاضة.

كانت متابعته لحركة اليقظة الإسلامية والصحوة الإيمانية ودفاعه القوي الذي لا يتزعزع عن منهج الإسلام وارتباطه بحركة المجتمع، وعن اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والتشريع الإسلامي مبدأ ثابتًا في كل ما خطه قلمه.

وفي أدبه وكتاباته كان حريصًا على فكرة ارتباط الأدب العربي بحاضنته الفكرية الإسلامية في مواجهة من قطعوا أواصر أدبهم بالدين الحنيف، وقلدوا بعض المذاهب الأوروبية التي ثارت على الكنيسة، وحاربت المسيحية، بل الأديان بصفة عامة.

ولعل هذا كان من وراء كشفه لمواقف الشعوبية في الأدب العربي، ومحاولاتها الدءوب لمسخه وتشويهه، وفصله عن قيم الإسلام، وربطه بالمادية والغريزة.

لقد ظل أنور الجندي مهمومًا بحركة الإسلام والمسلمين منذ البعثة النبوية حتى رحيله إلى رحاب الله، فأرَّخ لتاريخ الجهاد عند المسلمين، ومواجهتهم لأعداء البشرية والفطرة الإنسانية، وتصدى لنظرياتهم المادية الهدامة التي أرادوا بها أن تحل محل الإسلام وفي مقدمتها العلمانية في صورتها الكلية الوحشية.

لم يكتف أنور الجندي بذلك بل كان معنيًّا بتحرير الواقع الثقافي من الوثنية والصنمية التي حولت بعض الشخصيات الأدبية والفكرية إلى أصنام معبودة، وأوثان تقدم لها القرابين طاعة وخضوعًا واستسلامًا، فتجرأ عليها وهدمها، وجعلها تعود إلى طبيعتها الإنسانية يجري عليها ما يجري على بقية الناس من الصواب والخطأ.

ورأى أن المفاهيم الإسلامية الصحيحة تتوارى أمام المفاهيم الخاطئة والملوثة والوافدة المليئة بالسموم والأخطار، فوجَّه جهده لتصحيحها، وحذر من الفكر الوافد ومخططاته، وخاصة ما تقوم به الصهيونية التلمودية ومؤسسات الاستشراق والتبشير أو التنصير بمعنى أدق.

إن إنتاج أنور الجندي تصعب الإحاطة به في مثل هذه الدراسة المتواضعة التي استهدفت التعريف الموجز به. فهناك كثير من التفصيلات تحتاج إلى دراسات مستقلة وبحوث عديدة.

لقد صار من المأمول أن تنهض مؤسسة إسلامية أو ثقافية بنشر إنتاج الرجل الغزير الذي يشمل معظم جوانب الفكر الإسلامي الحديث، وهذا العمل سيكون خدمة جليلة للإسلام والأمة الإسلامية جميعًا.

وأتصور أن عملية النشر تقتضي وجود فريق من المتطوعين المخلصين تعمل على تصويب الأخطاء المطبعية أو التصحيفات الكثيرة التي ظهرت في الطبعة الأولى من أعمال أنور الجندي؛ بسبب النشر المتواضع الذي كان يتحمل عبئه وحده في الغالب، بدءًا من كتابته مخطوطًا حتى ظهوره مطبوعًا، وبين ذلك تصحيح تجارب الطبع ومتابعة الحمالين الذين يحملون الملازم المطبوعة من المطبعة الأولى على عرباتهم الكارو حتى تصل مطبعة التغليف ومكتبة التوزيع.

هناك قضية التوثيق الخاصة بالمصادر والمراجع، وقد كان الرجل غالبًا يسند النصوص إلى أصحابها دون أن يذكر المكان والزمان أو المصدر الذي نشرت فيه، وهو ما أخذه عليه كثير من نقاده. ولكنه- كما أعرف- كان يعتمد على شيئين: أولهما: ظنّه أن القارئ الذي يتوجه إليه يعلم طبيعة المصدر ويثق في الكاتب.

والآخر: أنه فيما بدا لي كان يسابق الزمن لينجز كتبه وبحوثه قبل أن ينتهي العمر المبارك، ولهذا كان حريصًا على أن يسجل ما يصل إليه وينشره بأسرع ما يمكن.

وأظن الأجيال الجديدة في حاجة إلى مصادر موثقة ومحددة حتى تعود إليها، وتنطلق على أساسها في البحث والدرس والنتائج.

على كل حال؛ فإن نشر إنتاج أنور الجندي بصورة أكثر دقة، مع إرجاع النصوص والوثائق إلى مصادرها مكانًا وزمانًا؛ مهمة ضرورية، وإن كان فيها صعوبة لا تخفى، ولكن شرف الغاية يجعل المشاركة في الأمر إحسانًا كريمًا إلى

الإسلام والمسلمين.

ثم إن هناك بعض السلاسل المهمة التي تخاطب الشباب، ولها فائدة كبيرة، إذ تيسر تقديم الفكرة في حيز محدود، ووقت قليل، وتمنح القارئ مادة جيدة، في موضوع مهم. ولعل من يسعى إلى إعادة نشر إنتاج أنور الجندي يبدأ بهذه السلاسل التي أشرت إليها في الفصل الأول. وهي على كل حال لا تتكلف كثيرًا، ويمكن طبعها بكميات كثيرة.

أختم سطوري بدعاء أطلب فيه الرحمة للرجل الذي أفنى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين، دون أن يعلن عن نفسه، أو يطلب شهرة ومالًا، أو يأخذه العجب بما ألف وأنجز، فقد طلب جائزته من ملك الملوك، وضحى بموارده القليلة ليصوّب للأمة طريقها، ويرشدها إلى سبيل العزة والقوة وخدمة الإنسانية.

وبالله التوفيق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حلمي محمد القاعود

obeikandl.com